



-1-

يعترف أنصار تنظيم دولة العراق والشام لأميرهم البغدادي بالولاية العامة، فهو عندهم إمام للأمة كلها، ويسمّونه "أمير المؤمنين"، ويقولون إنهم يحقّون ببيعة أصلًا من أصول الدين (أخذًا بحديث "من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية").

وقد فتحوا على المسلمين - ببيعتهم شخصاً مجهولاً - باب شرّ عظيماً سوف تؤتى الأمة من قبله ما لم يسارع إلى إغلاقه العلماء والعقلاة، هو باب البيعة للمجاهيل واتباعهم والتسليم لهم والقبول بهم أولياء وأمراء. ولو أننا قبلنا بأن يبقى هذا الباب مفتوحاً لم يبقَ بيننا وبين الراضة والباطنية فرق، فإنهم أسسوا عقائدهم وحركاتهم وضلالاتهم أول ما أسسواها على هذا الأصل الفاسد، فجاءهم من قبله كل شر ولم يهتدوا من بعده قط.

-2-

إن البيعة عقد كسائر العقود، والعقد لا يتحقق بإرادة منفردة بل لا بد لتحققه من توافق واجتماع إرادتين، فلا يتصور أي عقد بطرف واحد.

هل يتم زواج إلا باثنين، زوج وزوجة؟ وهل يكون بيع إلا باثنين، بائع ومشتر؟  
فذلك البيعة لا تكون إلا بطرف يقدمها وطرف يتلقاها.

**لذلك قال علماؤنا إن العقد لا بد له من ثلاثة أركان:**

عقد ومعقود عليه وصيغة العقد (وله عند الأحناف ركن واحد هو الإيجاب والقبول، وهو فرق شكلي بينهم وبين غيرهم لأن الإيجاب والقبول لا يكون إلا بعاقدين).

إذا كانت البيعة عقداً كأي عقد فإن من المقرر شرعاً أن العقد يصبح باطلاً إذا احتلَّ ركن من أركانه، كأن يكون أحد العاقدين فاقدَ الأهلية - كالجنون وغير المميز - أو يكون مجهولاً.

هل يتصور مثلاً أن يكون أحد الطرفين في عقد الزواج مجهولاً، فيقولوليَّ البنّت: "زوجت بنتي رجلاً من الناس؟ لا يقول

بحصة هذا العقد عاقل.

هل الزواج بامرأة أعظمُ شأنًا أم الولاية على الأمة كلها؟  
المسألة محسومة ولا يجادل فيها عاقل: متى كان صاحب البيعة مجهولاً للناس صارت البيعة باطلة.  
قال الفقهاء: "وحكم العقد الباطل أنه لا يُعد منعقداً أصلاً، وإن وُجِدَت صورته في الظاهر فلا يترتب عليه أي أثر شرعي".

-3-

قلت في كتاباتي عن تنظيم الدولة إن بيعة المجهول لا تصح فحاجوني بياعة عمر بن عبد العزيز، واستشهدوا بها على جواز البيعة لمن لم يُسمَّ ومن لا يُعرف.

وهو استشهاد باطل لا يدل على ما يريدون، لكي رأيت جماعات من أنصارهم يكررون الاحتجاج به ويفظون أنهم يخرجون به أنفسهم من هذا المأرق الكبير، فوجب التوضيح.

لقد أخذ رجاء بن حيّة العهدَ لعمر بن عبد العزيز بعد سليمان بن عبد الملك في كتاب مطوي لا يُعرف اسم صاحبه، هذا صحيح، ولكن تلك البيعة الخاصة التي أخذت من رؤوس البيت الأموي ووجهائه بلا اسم سرعان ما أعقبتها البيعة العامة التي تمت لعمر بن عبد العزيز باسمه وشخصه، وهي البيعة الحقيقة التي كرسته ورسخته إماماً للمؤمنين، ولو لم يبايع مبايعة عامة وهو معروف مكشوف لما كانت للبيعة الخاصة السابقة قيمة تُذكر.

قال الشيخ الدكتور محمد أبو فارس في كتابه "النظام السياسي في الإسلام" (ص229): "الدارس لكتب الأقدمين يجد أن اختيار رئيس الدولة كان يتم على مرحلتين، الأولى "مرحلة الترشيح" وتسمى البيعة الخاصة، حيث يقوم أهل الحل والعقد باختيار الخليفة وترشيحه للأمة".

الثانية هي البيعة العامة، وهي أقرب ما تكون إلى الاستفتاء العام، وهي المرحلة الحاسمة التي تقرر صلاحية المرشح للخلافة أو عدم صلاحيته، فإذا بايعه الناس يصبح بييعتهم إماماً، وإذا رفضوه لا تتعقد إمامته ويتوارد على أهل الحل والعقد ترشيح غيره للأمة".

-4-

أكثر أهميةً مما سبق أن ولاية أمير المؤمنين لا يمكن أن تصبح صالحة (أو "سارية المفعول" بالتعبير العصري) إلا إذا كان معروفاً للناس، مهما تكن الطريقة التي أخذت له بها البيعة.

جاء في سيرة عمر بن عبد العزيز (ابن عبد الحكم) أن رجاء بن حيّة خرج إلى القوم وهم مجتمعون في المسجد، وجوهبني أمية وأشراف الناس، فقال: "يأمركم أمير المؤمنين أن تبايعوا لمن عهد إليه في هذا الكتاب"، فبايعوا.

ثم أخذ بيده عمر فأصعده المنبر، وتمّنّ عمر فناشده رجاء وحَوَّفَه من الله أن ينفرط عقد المسلمين إنْ هو أَبَى.

فقام عمر على المنبر وفتح الكتاب فوجد فيه استخلافه، فخطب الناس فقال: "أيها الناس، إني قد ابْتَلَيْتُ بِهِ هَذَا الْأَمْرَ عَنْ غَيْرِ رأيِّي كَانَ فِيهِ وَلَا طَلِبَةَ لَهُ وَلَا مَشْوَرَةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَإِنِّي قَدْ خَلَعْتُ مَا فِي أَعْنَاقِكُمْ مِنْ بَيْعَتِي، فَاخْتَارُوْا لَأْنْفُسِكُمْ".

فصاح الناس كلهم: قد اخترناك يا أمير المؤمنين ورضيناك. ثم قاموا فبايعوه.

فظهر من ذلك أن البيعة الأولى التي أخذت على كتاب مطوي لا يُعرف اسم صاحبه، ظهر أنها بيعة خاصة لم تؤخذ إلا من أشراف البيت الأموي وبعض وجوه الناس، أما البيعة العامة التي أعقبتها بزمن ضئيل (ساعة أو نحوها كما يظهر من الرواية) فقد كانت لرجل معروف بالاسم و معروف بالسيرة والتاريخ الطويل.

إذن فإن الحقيقة الكبيرة الناصعة التي لا يُماري فيها هي أن الخليفة لم يُمضِ يوماً ولا ساعةً في عمله وسلطانه إلا بعدما

ُعرف وكُشف ورضيه الناس، عامتهم وخاصتهم.

أين هذا من المدعو أبي يكر البغدادي الذي ما يزال مستترًا مجهولاً وقد انقضت على ولادته سبع سنين كما يزعمون؟ سبع سنين لم يَرَ فيها أحدٌ من "رعيَّته"، ولا حتى إماماً للصلوة ولا خطيباً للجمعة، فضلاً عن إدارة البلاد وقيادة الجيوش!

\* \* \*

بقيت نقطة في هذه المسألة سأناقشها في الحلقة المقبلة إن شاء الله، وهي قوله إن البغدادي معلومٌ غيرُ مجهول، ونشرُهم له صورةً وسيرةً حياة مختصرة.

هذا الزعم أُوهى من أن يُلقي له بال، ولكن كثيرين من أنصار "الدولة" تعلقوا به وحسبوه شيئاً (وما هو بشيء) فلزم الرد عليه ببعض التفصيل.

[الزلزال السوري](#)

المصادر: